

غير مأهولة بالبشر (أرض بلا شعب)، على عكس الأرض التي يأتي منها المستوطنون، فهي مكتظة بالسكان .

يتضح هذا الجانب في أسطورة الاستيطان الصهيونية التي تبدأ برفض تاريخ اليهود في المنفى (وضمن ذلك العالم الغربي). والصهيونية هي الحل النهائي الذي يطرحه الصهاينة، والاستيطان في صهيون هو نقطة البداية والصفير، ومع هذا لا يكف الصهاينة عن الحديث عن دولتهم باعتبارها واحة الديمقراطية الغربية في الشرق وقاعدة الحضارة الغربية فيه . كما يزعم الصهاينة أن فلسطين هي إسرائيل أو صهيون، وأن تاريخها قد توقّف تماماً برحيل اليهود عنها . بل إن تاريخ اليهود أنفسهم قد توقّف هو الآخر برحيلهم عنها، ولن يُستأنف هذا التاريخ إلا بعودتهم إليها، ولكنه تاريخ جديد خالٍ من الاضطهاد والصراع، فهو أقرب إلى التاريخ المقدّس .

وإنكار الزمان وتأكيد المكان يتجليان في ظواهر عديدة من أهمها ما نسميه «الهاجس الأمني» و«عقلية الحصار»، وهما عبارتان تردان في الخطاب السياسي العربي لوصف أحد جوانب الوجدان الإسرائيلي، وهو الانشغال المرضي بقضية الأمن . وبسبب هذا الهاجس الأمني وعقلية الحصار تؤكد إسرائيل دائماً أنها قلعة مسلحة لا يمكن اختراقها، قوة لا تُقهر، قادرة على الدفاع عن نفسها وعلى البطش بأعدائها، ولكنها مع هذا مهددة طيلة الوقت بالفناء (ومن هنا أسطورة ماساداه وشمشون). وقد وُصف هذا الانشغال بأنه «مرض» لأنه لا يتناسب بأية حال وعناصر التهديد الموضوعية . فالشعب الفلسطيني شعب موضوع تحت حكم عسكري قاس، وموازن القوى العسكرية بين الدولة الصهيونية والدول العربية في صالح إسرائيل . كما أن أكبر قوة عسكرية في العالم، الولايات المتحدة، تقف بكل صرامة وراء الدولة الصهيونية .

ونحن نذهب إلى أن الهاجس الأمني قد يكون حالة مرضية، ولكنه في نهاية الأمر ثمرة إدراك عميق وواقعي (واعٍ أو غير واعٍ) من جانب المستوطنين الصهاينة